حرب الساعات الثلاث

انصارية.. العصف المأكول

كتاب توثيقي شامل يعرض الوقائع الميدانية والسياسية لمواجهة انصارية

المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق
THE CONSULTING CENTER FOR STUDIES & DOCUMENTATION

حرب الساعات الثلاث

أنصارية.. العصف المأكول

كتاب توثيقي شامل يعرض الوقائع
الميدانية والسياسية لمواجهة أنصارية

حرب الساعات الثلاث

انصارية .. العصف المأكول

حقوق الطبع محفوظة

للمركز

الطبعة الأولى

شعبان ١٤١٩ تشرين الثاني ١٩٩٨

إعداد :

ناصر شرارة

المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق
بيروت ـ حارة حريك ـ خلف الضمان الاجتماعي
شارع دحداح ـ بناية السفراء ـ الطابق الأول
هاتف: ٠١/٨٢٥٧٣٧ ـ ٠٣/٨٣٣٤٣٨ ـ ص.ب. ٢٤/٤٧
E. mail : Dirasat @ Cyberia – Net - Lb

المقدمة

مواجهة انصارية: تفوّق في عقل الصراع

بعد مرور سنة على مواجهة «أنصارية» التي ألحقت من خلالها المقاومة الإسلامية هزيمة قاسية بقوة الكوماندوس الإسرائيلية التي تسللت ليل ٤ ـ ٥ أيلول ١٩٩٧ عبر الساحل الجنوبي الممتد قبيل مدينة صور (شاطىء عدلون)، والتي تمكنت فيها من إبادة معظم أفراد القوة المتسللة من جنود النخبة البحرية (شييطت ١٣)، لم تمر الذكرى مروراً عابراً، فالسجال الإسرائيلي تجدد صاخباً وكأن الحدث وقع لتوّه، بكل ما فيه من إستثناء وإثارة ودلالات صادمة. والأمين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله أعلن بعد تكتمٍ طويل أن المقاومة كانت على علمٍ مسبقٍ بمجيء الكوماندوس الإسرائيلي.

إلا أن ذلك لا يعني ان إستثنائية الحدث تكمن فقط في البعد العسكري للمواجهة أو في تعثرها إسرائيلياً كفشل إستخباري كارثي. إنه أكثر من ذلك، إنه حزمة مكثفة من الدلالات الكاشفة التي إخترقت ما كان يظن انه نسق ثابت ودائم تفوّق مستحكم للعدو في موازين صراع قاهرة. والحدث هذا، رغم إنجلاء جوانب كثيرة من مجرياته الميدانية، ورغم يُسْر التقاط النتائج والدلالات التي أفضى إليها، إلا أن ثمة برهة مديدة متبقية من زمن الحدث علينا إنتظارها كي نمسك

بأسراره كافة ولتكتمل صورته وخلفياته.

أي مشهد سياسي وأمني إندرجت فيه هذه المواجهة؟

في المعطيات التي تشكل القاعدة الحاضنة لعملية انصارية، وتجاوزاً لطبيعة الهدف الميداني الذي سعى إليه الإسرائيليون (إغتيالاً أو اختطافاً أو تفجيراً... إلخ والذي إعتبر الإسرائيليون ان نجاحهم في تحقيقه ستكون له دلالات وانعكاسات هامة على مجمل مسار حرب اسرائيل مع حزب الله) يندرج المشهد في سياق رؤية إستراتيجية فائقة الأهمية في مشروع نتنياهو، تقوم على تطوير مقولة «الأمن أولاً» إلى مقولة «الأمن قبل فوات الأوان». (جريدة هتسوفيه الإسرائيلية ٦/٨/٩٧، والسفير اللبنانية ٩/٩/٩٧).

وقد جرى اختيار توقيت العملية في لحظة مثلثة الأبعاد:

أميركياً، عشية زيارة أولبرايت المفترضة إلى المنطقة، ولبنانياً بعد عملية الكفور الإسرائيلية وسلسلة محطات تصعيدية في الوضع الجنوبي، وفلسطينياً بعد عملية حماس الاستشهادية في القدس المحتلة، وتلتقي هذه الابعاد عند نقطة إرتكاز إسمها إعادة ترتيب جدول معطيات المنطقة سياسياً وأمنياً وفق أولوية طاغية إسمها «الأمن الإسرائيلي»، لذا بدا ان فضاء العملية يختزن تعقيدات المنطقة برمتها وعلى رأسها تعقيدات المواجهة مع حزب الله، الذي بات يشكل تهديداً إستراتيجياً للأمن الإسرائيلي.

ويفسّر هذا المنحى، ما ذهبت إليه نشرة «فورين» البريطانية

المتخصصة، التي سلطت الضوء على أن عمق الفشل العسكري الإسرائيلي في عملية انصارية يمكن قياسه من خلال نوعية النتائج التي كانت تريد إسرائيل تحقيقها من العملية، فنتنياهو حدد لعملية انصارية سلة اهداف أهمها أن تكون من حيث إنعكاساتها على معنويات الجيش الإسرائيلي وعلى المسار السياسي في المنطقة مشابهة لتلك النتائج المركبة التي حصدتها إسرائيل من خلال إنجاز عملية إغتيال الرجل الثاني في حركة فتح خليل الوزير (أبو جهاد)، في تونس. . . فخليل الوزير كان هدفاً ضخماً من كل الزوايا المعنوية والسياسية والأمنية. . . وهدف انصارية وضع كي يحقق نصراً إسرائيلياً على حزب الله الذي رمز خلال السنوات الماضية إلى كسر الشوكة الإسرائيلية. . وكان من شأن هذا الهدف أن يجعل حكومة نتنياهو في موقع أفضل وهي تطل داخلياً وإقليمياً على مرحلة ما بعد مجيء وزيرة الخارجية الأميركية مادلين أولبرايت إلى المنطقة بحيث يصبح شعار الأمن ليس فقط كل محتوى جولة أولبرايت بل أيضاً كل روزنامة مرحلة ما بعد زيارتها»، (الإذاعة البريطانية: ١٠/ ٩/ ١٩٩٧).

هذا في الإطار السياسي ـ الأمني للعملية، لكن ماذا على صعيد المقاييس الكلية للصراع بما يتجاوز السياسة، ليلامس الدلالات غير المنظورة لكن العميقة لهذه المواجهة؟

لطالما تفوقت المقاومة وانتصرت، مرات ومرات، خلال سنوات الصراع الفائتة، وامتد انتصارها على مساحات المواجهة كافة من عسكرية وأمنية، إلا أن لمواجهة أنصارية نموذجها الخاص الذي

يحتوي في الآن ذاته على الأبعاد كافة، ويضيف إليها تفوقاً مفارقاً في أهميته، تفوقاً في «عقل الصراع» الذي ينتج القدرات الذهنية والتخطيطية للمواجهة. وكان ذلك قد شكل ولا يزال عقدة نقص عربية في تاريخ الصراع مع العدو الإسرائيلي، أسهمت في عطب الشخصية العربية واختلال هوية المواجهة فيها، وأنبتت هزيمة كامنة في الشروط النفسية والايديولوجية للصراع والتي باتت من المقدمات الطبيعية للهزائم العسكرية المتتالية.

إن «شييطت ١٣» لم تكن مجرد وحدة بحرية متخصصة في العمليات الإحترافية شديدة التعقيد فقط. بل هي وفق تصور قادة العدو الإسرائيلي، تؤدي وظيفياً دوراً نموذجياً في إظهار التفوق النوعي والكمي لاسطورة الجيش الذي لا يقهر. إنها وحدة تمثل روح الجيش الإسرائيلي وخلاصة القيم التأسيسية للمجتمع الإسرائيلي. لذا ثمة دور رمزي وعملي لوحدة «شييطت ١٣» يشكل مساحة التقاء نموذجية بين «الأمني» و«الأيديولوجي».

وكذلك لم تكن المجموعات المقاتلة من «القوة الخاصة» في المقاومة الإسلامية التي زرعت عبواتها وانتظرت الكوماندوس الإسرائيلي بهدوء، وتمكنت من إبادة القوة المهاجمة باحتراف رفيع، مجرد مقاتلي حرب عصابات يجوبون ردهة الإنتظار الناشزة في هذا الشرق الأوسط الملتهب. بل كانوا رواداً حقيقيين لأمة تعيش مرحلة تاريخية في إعادة تأسيس مشروعها، وإعادة إنتاج زمنها الخاص.

من هنا، تمثل مواجهة انصارية لحظة إستواء تاريخي، لحظة

صراع عميق عند ناصية المشروعين المتناقضين جوهرياً. مارس فيها المقاوم تجربته إلى أقصاها ذهنياً، إستخبارياً وعسكرياً ومارس فيها العدو عصارة ما يسميه تفوقاً وقدرة، لذا تعلو القيمة الرمزية للمواجهة إلى أرفع مدى على طريقة «برز الإيمان كله للشرك كله»، مع ما تعكسه هذه المماثلة من إستعارة تاريخية ـ عقائدية، وذاكرة مفهومية حيَّة تعصى على المغادرة. هكذا يمكن فهم هذا النزوع الذي يسم سياق المواجهة ويشده إلى تجاوز المضمون الأمني أو العسكري بالمعنى التقليدي للكلمة، وينحو به باتجاه التعالي والتكثيف.

إستناداً إلى ذلك يغدو مبرراً تماماً الحديث عن إستثنائية الحدث، كما يغدو مفهوماً ذلك التفسير الإسرائيلي اللاحق لفشل العملية. والذي انطوى مجدداً على نقاشات تأسيسية «تتعلق بتجديد قيم المشروع الصهيوني، وان الحرب مع حزب الله هي حرب كأي حرب أخرى واقعية، سجال: يوم لك ويوم عليك. وان هذه الحقيقة المرة هي قدر يجب التعوُّد عليه ويجب إعتبار مضمونه واحداً من المقوِّمات الجديدة التي ستقوم عليها الصهيونية التجددية التي تؤمن بأن الطريق لبناء الذات اليهودية في الشرق الأوسط لم تنته بعد»، (الإذاعة الإسرائيلية، ٢١/ ٩/ ٩٧، وجريدة هتسوفيه ١٩/ ٩/ ٩٧).

وليس قليل الدلالة، فعلاً، ان تنحو بعض التقويمات الإسرائيلية هذا المنحى، وان تأخذ بعداً وجودياً يرتبط بتجديد قيم المشروع الصهيوني وبناء الذات اليهودية، لكأن ذلك يؤشر على إحساس يهودي كامن بتلاشي الإندفاعة التاريخية الإسرائيلية ووقوفها عند حدود

المأزق المستجد المتعدد الأبعاد الذي انتجته ساحات المواجهة المختلفة، والتي تقف ساحة الجنوب في طليعتها.

إن هذا الكتاب، الذي يحتوي بشمولية علمية على كل المعطيات المتعلقة بمواجهة «انصارية»، من مجريات ومواقف وتعليقات وكتابات، ليس إلا إستجابة عملية لهذا الإحساس الضاغط بالمسؤولية، سعياً للإمساك بدلالات هذه المحطة التاريخية وللإستفادة من دروسها، إسهاماً في تشكيل هذا الوعي المقاوم وتأسيس ثقة الأمة بنفسها وبإمكانياتها وقدراتها، وهذه إحدى أبرز المهام الجليلة التي رسمها المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق لنفسه، على أمل كبير أن يُكتب له التوفيق الإلهي لأدائها.

علي فياض

رئيس المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق

تشرين أول ١٩٩٨م

رجب ١٤١٩هـ